الفصل الثالث

تعليم الأصم

قد يبدو أن عملية تعليم الطفل الأصم أمر شاق نظراً لما يعانيه من فقد القدرة على الكلام وتعذر الاستماع والقدرة على تقليد الأصوات في بادئ الأمر إلا أن كل هذا يجعلنا لا نفقد الأمل في تعليمه لأن هذا الطفل يحس كما نحس ويتألم كما نتألم ، وكل ما يعانيه هذا الطفل هو حاله من الإعاقة تحول بينه وبين الاستفادة من حاسة السمع المعطلة لديه وهو لذلك لا يستطيع اكتساب اللغة بالطريقة العادية.

واللغة كما نعلم أداة الاتصال الاجتماعي الأولى ، عمد إليها الإنسان قبل التاريخ المكتوب لكي يتصل بغيره ويتعامل معهم وأصبحت بذلك المميز الرئيسي بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية بل تعد أكبر مميز لإنسانية الإنسان وأقوى معبر عن شخصياته ، ويلاحظ أن نمو الأصم يتأخر عن العادي في الجانب العاطفي والتطور الاجتماعي.

والملاحظ أيضاً أن الفروق الفردية واضحة بين هذه الفئة أي أن الصم فئة غير متجانسة يختلف أفرادها كثيراً عن بعضهم البعض ويرجع التربويون هذا التباين إلى أسباب متعددة منها:

★السن عند حدوث الصمم.

★مدى فقدان السمع ودرجته.

★الجو الدراسي بالمدرسة والوسائل التعليمية التي يتدرب عليها الأصم.

★الفرص الاجتماعية المهيأة في بيئة الأصم.

★شعور الأسرة العاطفي نحو الأصم ومدى تقبله.

ويعتبر التعليم عملية هامة جداً للأصم لأنه الوسيلة الوحيدة التي تربطه بعالم الثقافة والمعرفة كما أن التعليم هو الطريق الوحيد لتكيف الأصم للحياة العادية وذلك حتى يستطيع التفاهم بقدر المستطاع مع العاديين.

والملاحظ أن الصم يتأخرون عن العاديين في التعليم بحوالي ثلاث سنوات. كما أن التكيف الذاتي للأصم متوقف إلى حد كبير على درجة التعليم التي بلغها وقدرته على التفاهم وبالتالي يتمكن من اكتساب الخبرات والمهارات وتكوين العلاقات وكل هذا يؤثر بالتبعية في نمو شخصيته ولهذا نجد كثيراً من الصم الذين لم تتح لهم فرص للتعليم يصادفون مشاكل كثيرة في حياتهم العملية في اتصالهم بالغير مما يدفعهم للانطواء وممارسة الأعمال البسيطة.

تطوير المناهج الدراسية

ما موقفنا من الطفل الأصم ؟

هل سنكون أوصياء عليه أم أصدقاء له وكيف نقدم له منظومة القيم التربوية والثقافية والإنسانية التي نرى أنها ستنتج له أفضل فرص النمو وتحقق السواء النفسي؟

فإذا قدمنا له قيمة مثل الحرية فهل سنقدمها كقيمة بسيطة مجردة أم نقدمها في صورتها النسبية التي تمنحها النبض والمعنى بحيث يراها في ضوء قيم أخرى مثل المعرفة والعمل والعدالة ؟

كيف نبعث قيمة الولاء لوطنه دون أن يفقد القدرة على رؤية ما للأوطان الأخرى من مزايا ، ولقوميته دون أن يغفل عما لدى القوميات الأخرى من إيجابيات ؟

وكيف يتم التعبير عن هذه القيم من خلال أشكال فنية ناضجة وراقية؟

كيف نساعد الطفل الأصم على أن يفرق بين العصبية المحمودة والتعصب الممقوت ؟

كيف نساعده على أن يتقبل في وقت واحد معنى الوحدة بين البشر التي يمثلها احترامهم واحتياجهم للمنهج العلمي ومعنى الاختلاف الذي يتبدى بين الثقافات ويرجع إلى اختلاف الجغرافيا والتاريخ والبيئة؟

بعبارة أخرى علينا أن نقدم له ما يرهف حواسه وعقله ومشاعره وحسه النقدي بلغة الفن ومنهج العلم بحيث نجعله أكثر شغفاً بالمعرفة وعشقاً للفن والحياة وأكثر قدرة على ترشيد قدراته !!

فبعد التطور والتقدم الكبير الذي أحرزه علم النفس بشكل عام وعلم النفس المعرفي وعلم نفس الطفل بصفة خاصة خلال نصف القرن الأخير على الأقل ، أصبح من المهم والضروري أن يتعرف كل من يتعامل مع الطفل الأصم ويحاول تعليمه أو تثقيفه أو التأثير عليه أو حتى الترفيه عنه على معايير نموه سواء النمو الجسمي أو النمو النفسي الانفعالي أو النمو الاجتماعي أو النمو العقلي حتى تكون هذه المواد مناسبة لمرحلة النمو التي بلغها ويعمل عندها الطفل وملائمة لميوله وحاجاته وما يتوافر لديه من عمليات عقلية وقدرات بحيث تحبب له المادة المقدمة وتجعل استفادته منها استفادة حقيقية وباقية .

ونظراً لأن الكتب الدراسية هي أول لقاء للطفل الأصم مع العلم والثقافة فهي تستطيع أن تلعب دوراً مهماً في تقديم الخبرات الأولى للقراءة والتذوق الفني والجمالي له بالإضافة إلى تفتيح عقله على الدنيا وتنمية الميول القرائية لديه نتيجة لذلك فمن أول الأمور وأهمها أن تراعي عند إعداد الكتب الدراسية للأطفال الصم واختيار الموضوعات والمواد بها وإخراجها محددات نمو الأطفال الصم في مختلف جوانبهم وأن تحقق الحاجات الأساسية لنمو هؤلاء الأطفال وتساهم بدور فعال في إعدادهم للمستقبل وللتحدي الذي يواجههم.

وإذا تحدثنا عن أهم الأسس والمبادئ العامة والضوابط السيكولوجية والتربوية اللازم مراعاتها عند إعداد المناهج الدراسية الخاصة بالأطفال الصم فإنه يتوجب علينا أن نقدم فيما يلي مجموعة من الأسس والمبادئ العامة والضوابط السيكولوجية والتربوية التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من المعلومات السيكولوجية المتعلقة بالأطفال الصم وضعاف السمع .

ضرورة الحرص على أن يكون للطفل الأصم دور فعال وأن يشارك فيما يقدم له من مواد وألا يقتصر دوره فيما يقدم له من مواد على دور المتلقي السلبي إلا في أضيق الحدود.

نظراً لأن جميع نظريات النمو المعرفي العقلي للطفل قد أكدت أن أصل الذكاء الإنساني يكمن فيما يقوم به الطفل من أنشطة حسية حركية خلال المراحل المبكرة من عمره فقد أصبح من الضروري عند إعداد كل المواد التعليمية والثقافية للطفل الأصم والتوجه له بشكل عام استثارة حواسه المختلفة من جهة وجعله يمارس مختلف الأنشطة الحركية لتحقيق النمو والتنمية العقلية من جهة أخرى.

من المعروف أن الأطفال لديهم حب الاستطلاع واستكشاف فطري بل أن الحاجة للاستطلاع والمعرفة والفهم واستكشاف المجهول من بين أهم الحاجات النفسية لهم ، لذلك يكون من الضروري عند إعداد المناهج الدراسية للصم أن تساعد على الاستفادة وتشجيع حب الاستطلاع لديهم بأكبر درجة ممكنة لتدفعهم لاستكشاف البيئة من حولهم وتعليمهم وتنميتهم عن طريق الاكتشاف والاستطلاع والتجريب الحر النشط .

ضرورة مراعاة الجوانب الشكلية والجمالية عند إعداد الكتب الدراسية بحيث تقدم لهم الألوان الجذابة الجميلة التي تساعد على تنمية الحس الجمالي والتذوق الفني لدى الأطفال الصم ، كما يلزم أن تحتوي كل الموضوعات بالكتب الدراسية على الرسوم والصور التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الموضوعات التي تقدم لهم ، أي أن يصبح هناك مزج بين الكلمة والصورة ، أو بالأحرى تقريب كتاب

الصم المدرسى بالمجلة حيث أن الطفل الأصم يعتمد على عينيه في فهم ما يقدم له وما يدور حوله.

ضرورة الحرص على إعداد مواد تمس حاجات ومشكلات وقضايا الأطفال الصم في مختلف البيئات الحضارية والطبقات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع.

ضرورة الحرص الشديد على أن تساعد المناهج الدراسية على تحقيق انتماء الأطفال الصم لوطنهم وقوميتهم وحضارتهم بالإضافة لما تحققه من متعة وبهجة وتعليم وتنشئة وتنمية وإعداد للتعامل مع عالم الغد.

ضرورة مراعاة الخصائص النفسية للأطفال الصم ومرحلة نموهم العقلي والاجتماعي والانفعالي وحاجاتهم وميولهم عند مختلف المراحل والأعمار.

وعلى هذا الأساس فإن المناهج والكتب الدراسية اللازم إعدادها للأطفال الصم يجب أن تحتوي على مواد تتصف بالآتي:

أولاً: مواد تلائم خصائص الأطفال الصم ومحددات نموهم عند مختلف المراحل.

- تلائم طبيعة إعاقتهم السمعية.
- تلائم مستوى نموهم العقلي.
- تتحدث بلغة يفهمونها في سهولة ويسر.
- تلائم ميولهم وتحقق حاجاتهم النفسية .

ثانياً: مواد تجذب الأطفال الصم وتسعدهم وتمتعهم وتدخل البهجة على قلوبهم.

ثالثاً: مواد تستثير حواسهم وتجعلهم يشاركون بنشاط ويكون لهم دور فعال عند متابعتها وتستثير حب استطلاعهم.

رابعاً: مواد تنمي حسهم الجمالي وتذوقهم الفني.

خامساً : مواد تخرج بهم للعالم من حولهم فتزيد من خبراتهم وتوسع مداركهم.

سادساً : مواد تمس مشكلاتهم وحاجاتهم والقضايا التي تهم الأطفال الصم في مختلف البيئات الحضارية والمستويات الاقتصادية والاجتماعية.

سابعاً: مواد تأخذ آراءهم في الاعتبار.

ثامناً: مواد تساعد على دمجهم في المجتمع.

تاسعاً: مواد تساعد على تنميتهم وتعليمهم ورفع مستواهم.

عاشراً: مواد تزيد من انتمائهم لوطنهم وقوميتهم وتساعد على غرس العادات والقيم والمثل العليا لهذه القومية لديهم.

كما يجب أن تتطرق المناهج الدراسية إلى مجموعة العلاقات التي ترتبط بالطفل الأصم لتقدم صوراً عنه:

أولاً: علاقته مع نفسه وتحسين صورته أمامها فيحترم رغباته ويفهم حدود إمكاناته ، يفخر بها ويثق فيها ، فلا يخجل من إعاقته بل من سوء الفعل.

ثانياً: علاقة الطفل الأصم مع من حوله من المقربين وخاصة أسرته في إطار من التفاهم والمحبة.

ثالثاً: علاقته مع الآخر في إطار من الانفتاح واحترام تجاربه ومبادئه.

رابعاً: علاقته مع الله في إطار من الرضا والطاعة الواعية المبنية على المحبة لا الخوف.

كما أن للطفل الأصم الحق بالفرح والرقص واللعب والتعلم ، وله الحق كل الحق في حياة كريمة ضمن أسرة واعية باحتياجاته الخاصة تدعمه وتشجعه ، تقبله ولا ترفضه.

ومن حق الطفل الأصم علينا أن تسعى كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتربية والتثقيف (الأسرة- المدرسة- أجهزة الثقافة والإعلام- الخ) لإكسابه ما يلزم من خصائص وسمات ومواصفات لإعداده لتحدي إعاقته والتفوق عليها وإعداده لعالم الغد ولتحقيق أهم الخصائص والمواصفات اللازمة لإنسان القرن الحادي والعشرين الأصم.

فالطفل الأصم متلق جيد جداً وليس ناقداً لذا من واجبنا تعريضه لمستوى راق من العلم والثقافة من دون استخفاف فإما أن ننحط معه أو نرتفع به ليقهر إعاقته ويبدع هو بدوره في المستقبل.

ومن بين الجوانب المهمة للنمو النفسي للأطفال الصم اللازم الاهتمام بها ومراعاتها عند التوجه لهم وعند إعداد وتقديم مختلف المناهج الدراسية ، الحاجات النفسية عند مختلف مراحل نموهم النفسي .

ويمكن تحديد أهم الحاجات النفسية للأطفال الصم فيما يلي :

١- الحاجة إلى الأمن والقبول الاجتماعي.

٢- الحاجة إلى السواء النفسي.

٣- الحاجة إلى الحب والحنان والتواصل الوجداني .

٤- الحاجة إلى الانتماء.

٥- الحاجة إلى احترام الذات وتقديرها.

٦- الحاجة إلى الاستطلاع والمعرفة والفهم.

٧- الحاجة إلى النجاح والإنجاز.

٨- الحاجة إلى اللعب والحركة.

٩- الحاجة إلى المرح والفكاهة.